(١)

العمل شرف

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد:

فقد نظر الإسلام إلى العمل نظرة تعظيم وتمجيد؛ فهو سبيل الرقي والتقدم، والمتأمل في القرآن الكريم يجد فيه دعوة صريحة للعمل الذي يتحقق به إعمار الكون، وتحقيق الخير للدنيا كلها، حيث يقول الحق سبحانه: {هُوَ أَنْشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}، ويقول سبحانه: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}، ويقول (عز وجل): {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، فلأهمية العمل جاء الأمرُ به بعد الأمر بالصلاة مباشرة، وكان سيدنا عراك بن مالكٍ (رضي الله عنه) إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين.

كما أن السنة النبوية المطهرة زاخرةٌ بالدعوة إلى العمل والجدِّ فيه، باعتباره شرفًا يحفظ للإنسان كرامته، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (أفضلُ الكسْبِ بيعٌ مبرورٌ، وعملُ الرجلِ بيدِه)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لأن يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ

حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيهِ أَوْ يَمْنَعُهُ)، وكان سفيانُ الثوريّ (رحمه الله) يمُرُّ ببعض الناس وهم جلوسٌ بالمسجدِ الحرام، فيقول: ما يُجلِسُكم؟ قالوا: فما نصنَع؟! قال: اطلُبوا من فضلِ الله، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين، ويقول سيدنا عمر (رضي الله عنه): لَا يَقْعُدُ أحدكم عن طلب الرزق يقول: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي؛ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تمطر ذهبًا ولا فضة.

ولشرف العمل وأهميته كان الأنبياء (عليهم السلام) يعملون بأيديهم، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (كَانَ دَاوُدُ (عليه السلام) لا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)، ويقول: (كَانَ زَكَرِيَّا (عليه السلام) نَجَّارًا)، وكان نبينا (صلى الله عليه وسلَّم) يعمل بنفسه، ويقوم على خدمة أهله، تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها): كان رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) يَخصِفُ نعله، ويَخيط ثوبَه، كما دعانا (صلى الله عليه وسلم) إلى العمل حتى في آخر لحظات حياتنا، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ).

ومن شرف العمل أن الشريعة الإسلامية جعلت لمن يسعى على كسب معاشه ورزق أولاده أجر الشهيد، فقد ربط القرآن الكريم بين العمل وبين التضحية في سبيل الحق، حيث يقول سبحانه: {وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} وحينما مرَّ رجلٌ عَلَى نبينا (صلى الله عليه وسلم) فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى

عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَهْلِهِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ).

****

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

إن الإسلام لم يطلب منا مجرد العمل فحسب، بل حثنا على إتقانه ابتغاء مرضاة الله عز وجل، ولقد وعد ربنا (عز وجل) من يتقن عمله بالثواب العظيم، حيث يقول سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}، كما أن إتقان العمل من الأمور التي يحبها الله (عز وجل)، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ).

فأمانة العمل مسؤوليَّة في عنق كل عامل أو موظف أو مسئول، يراقب فيها ربه (عز وجل)، حيث يقول سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، ويقول (عز وجل): {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} وعندما سئل نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن الإحسان، قال: (الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات واحفظ مصرنا من كل سوء، وسائر بلاد العالمين